الباب الثالث

فى مجرّباته ومنازلاته وما اتفق لأصحابه معه ومكاشفاته

سمعت الشيخ أبا العباس رضى الله عنه يقول: كنت أنا وصبّى عند المؤدّب إذ جاء رجل فوجدنى أكتب فى لوح فقال لى: الصوفى لا يسوِّد بياضًا، قال: فقلت له: ليس الأمر كما زعمت، ولكن لا يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب.

وسمعته يقول: عمل إلى جانب دارنا خيال الستارة وأنا إذ ذاك صبى فحضرته، فلما أصبحت وأتيت إلى المؤدّب، وكان من أولياء الله أنشدنى حين رآنى:

يا ناظرًا صور الخيال تعجبًا وهو الخيال بعينه لو أبصرا

وقال رضى الله عنه: رأيت ليلةً كأنى فى سماء الدنيا وإذا برجل أسمر اللون قصير الطول كبير اللحية، فقال قل:

اللهم اغفر لأمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم استر أمة محمد، اللهم اجبر أمة محمد.

هذا دعاء الخضر، من قاله كل يوم كتب من الأبدال، فقيل لى: هذا الشيخ ابن أبى شامة، فلما انتهيت أتيت إلى الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه فجلست ولم أخبره بشىء، فقال: اللهم اغفر لأمة محمد، واللهم ارحم أمة محمد، واللهم استر أمة محمد، اللهم اجبر أمة محمد، هذا دعاء الخضر من قاله كل يوم كتب من الأبدال.

وقال رضى الله عنه: كنت أخرج كل يوم من باب البحر إلى نحو المنار، فخرجت يوما إلى المنار، فنمت عند الجانب الشرقى، وكان قد خطر فى نفسى: ما سبب قلة رواية أبى بكر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ مع كثرة ملازمته له؟

فإذا قائل يقول لى: أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وإنما قلت روايته عنه لتحققه به.

وقال رضى الله عنه: طالعت مقام الرحمة فإذا قائل يقول لى: والله ليكونن من رحمة الله يوم القيامة ما ينال منها ابن أبى الطواجن، وكان ابن أبى الطواجن هذا قد قتل الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما.

وقال رضى الله عنه: كنت مع الشيخ فى مدينة الرسول ﷺ فأردت أن أزور حمزة رضى الله عنه، فخرجت من المدينة، فتبعنى رجل فأتينا إلى التربة، فإذا الباب مغلق، فانفتح ببركة رسول الله ﷺ فدخلنا فوجدنا هناك رجلا من الأبدال فقلت للرجل الذى تبعنى: ادع فى هذا الوقت بما تريد، فإنه

يستجاب لك، فدعا ذلك الرجل أن يعطيه الله دينارًا، فلما رجعنا إلى المدينة لقيه رجل فأعطاه دينارا، فلما دخلنا على الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه قال له: يا بطال صادفت وقت إجابة فسألت الله دينارًا! هلا سألت الله كما سأله أبو العباس، سأله أن يكفيه هم الدنيا وعذاب الآخرة وقد استجاب الله له فى ذلك.

وقال رضى الله عنه: كنت يوما جالسا بين يدى الأستاذ فدخل عليه جماعة من الصالحين فلما خرجوا من عنده قال: هؤلاء أبدال، فنظرت ببصيرتى فلم أجدهم أبدالا، فتحيرت بين ما أخبر به الشيخ، وبين ما شهدته بصيرتى، فبعد ذلك بأيام قال الشيخ: من بدلت سيآته حسنات فهو بدل، فعلمت أن الشيخ أراد أول مراتب البدلية.

وأخبرنى الشيخ العارف نجم الدين الأصبهانى، قال: قال لى الشيخ أبو العباس يوما: ما اسم كذا وكذا بالعجمية؟ فخطر لى أن الشيخ يحب أن يقف على لغة العجم، فأتيت إليه بكتاب «الترجمان» قال: فقال الشيخ: ما هذا الكتاب؟ فقلت: كتاب «الترجمان» قال: فضحك الشيخ وقال: سل بالعجمية ما شئت أجبك بالعربية، وسل ما شئت بالعربية أجبك بالعجمية، فسألته بالعجمية فأجابنى بالعربية، وسألته بالعربية فأجابنى بالعجمية، وقال: يا عبد الله ما أردت بقولى ما اسم كذا إلا مباسطتك، وإلا فلا يكون صاحب هذا الشأن، ويخفى عليه شىء من الألسنة.

وأخبرنى أيضا قال: قال الشيخ أبو العباس يوما: كم بين بلدة كذا وبلدة كذا من نهر لبلدتين من بلاد العجم؟ فقلت: أربعة أنهر. فقال: والنهر الذى غرقت فيه؟ فذكرت أنى نسيت نهرا أتيت لأخوضه فكدت أن أغرق فيه.

وأخبرنى الشيخ العارف ياقوت: قال: عزم على إنسان فقدم لى طعاما، فرأيت عليه ظلمة كالمكب فقلت فى نفسى: هذا حرام فامتنعت من أكله، ثم دخلت على الشيخ أبى العباس رضى الله عنه فقال: أول ما جلست: ومن جهلة المريدين من يقدم له طعام فيرى عليه ظلمة فيقول هذا حرام، يا مسكين ما يساوى ورعك سوء ظنك فى أخيك المسلم، هلا قلت هذا طعام لم يردن الله به.

ودخلت أنا عليه يوما، وفى نفسى ترك الأسباب والتجريد، وترك الاشتغال بالعلم الظاهر قائلا: إن الوصول إلى الله لا يكون إلا على هذه الحالة.

فقال من غير أن أبدى له شيئا: صحبنى بقوص إنسان يقال له: ابن ناشئ وكان مدرسا بها ونائب الحكم، فذاق من هذا الطريق شيئا على أيدينا. فقال: يا سيدى أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك؟

فقلت له: ليس الشأن ذا، ولكن امكث فيما أقامك الله فيه، وما قسم لك على أيدينا هو لك واصل.

ثم قال: وهذا شأن الصديقين، لا يخرجون من شىء حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى إخراجهم.

فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى وكأنما كانت ثوبا نزعته، ورضيت عن الله فيما أقامنى فيه.

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: رأيت وأنا بالمغرب دائرة من الرجال، ورجلا فى وسطها، وكل من فى تلك الدائرة متوجه إليه، فقلت فى نفسى: هذ هو القطب، وعرفت ذلك الرجل بصفته وبقيت كلما ذكر لى عن رجل آتى إليه وأقول: عسى أن يكون ذلك الرجل الذى رأيته فى وسط الدائرة، حتى قيل لى عن الشيخ أبى العباس، فأتيت إليه فإذا هو ذلك الرجل الذى رأيته فى وسط الدائرة فأخبرته، فقال: نعم أنا القطب، أما الذين يقابلون بطنى لهم المدد من باطن حقيقتى، والذين يقابلون ظهرى لهم المدد من ظاهر علمى، والذين يقابلون جنبى لهم المدد من العلوم التى بين جنبى.

وأخبرنى بعض أصحابنا قال: رأى إنسان من أهل العلم والخير كأنه بالقرافة الصغرى، والناس مجتمعون يتطلعون إلى السماء وقائل يقول: الشيخ أبو الحسن الشاذلى ينزل من السماء، والشيخ أبو العباس مرتقب لنزوله، متأهب له، فرأيت الشيخ أبا الحسن قد نزل من السماء وعليه ثياب بيض، فلما رآه الشيخ أبوالعباس ثبت رجليه فى الأرض، وتهيأ لنزوله عليه، فنزل الشيخ أبوالحسن عليه، ودخل من رأسه، حتى غاب فيه واستيقظت.

وأخبرنى الشيخ محمد السراج رحمه الله قال: كنت ليلة من الليالى نائما وأنا أرى فى المنام قائلا يقول لى: اذهب إلى خارج الإسكندرية من باب السدرة، فأول بستان تلقاه من الجانب الأيسر فادخل فيه فإنك تجد فيه جماعة من الناس، الجالس منهم تحت أطول نخلة هناك رجل من الرجال، ثم قيل: إن فى الجامع حلقة من دخل فيها فهو آمن، فلما أصبحت خرجت إلى ظاهر الإسكندرية ودخلت أول بستان من الجانب الأيسر، فوجدت حلقة هناك، فرفعت بصرى لأنظر إلى أطولها نخلة، فإذا قائل يقول لى: كلها طوال؛ فإذا الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه، فسلمت عليه وجلست وقلت: يا سيدى رأيت البارحة كذا وكذا وقصصت عليه الرؤيا فقال: الجامع أنا، والحلقة هم أصحابى، ومن دخل فيها فهو آمن، أى من دخل فى شروطنا فهو آمن، ثم قال: أنا الليلة آتيك فقلت: يا سيدى أنتظرك على الباب، أو أترك الباب لك مفتوحًا؟ فقال: لا ولكن اغلق بابك، وأنا آتيك.

قال: فلما كان الليل أخذنى شبيه الوهم، وصرت أقول: من أين يأتى؟ من هنا يأتى، لا بل من هنا يأتى، فلم أطق المكث، فخرجت إلى رباط الواسطى، وصعدت المأذنة، ووقفت أصلى، فأنا فى الصلاة، وإذا الشيخ أبو العباس قد أتى فى الهواء وقال: يا محمد، أتظن أنك إذا جئت هنا يخفى علىّ مكانك؟ فقلت: يا سيدى إنما جئت هنا لأنى لم أطق المكث، وهالنى الأمر، وكان المخاطب له منى لسانا آخر غير الذى كنت أقرأ به.

وأخبرنى بعض أصحابه قال: كنا مع الشيخ بمدينة «قوص»؛ وكان من أصحاب الشيخ أبى العباس أبو الحسن المرسى، وكان فى خلقه حدة فنزل ولد الشيخ يوما يلعب كما يلعب الصبيان، فقال له الشيخ أبو الحسن المرسى: اطلع لا أطلعك الله، فسمعه الشيخ أبو العباس فنزل وقال: يا أبا الحسن حسن خلقك مع الناس، بقى لك عام وتموت، فمات إلى تمام العام.

وأخبرنى أبو عبد الله الحكيم المرسى رحمه الله قال: قدم علينا الشيخ بأشموم، فلما جن الليل دعانى الشيخ وقال: ادن منى يا حكيم فدنوت منه فوضع يده خلف ظهرى، وفعلت أنا كذلك،

وضمنى إليه وبكى: فبكيت لبكائه ولم أدر مم بكى؟ فقال: يا حكيم ما جئتكم إلا مودعا، ياحكيم نذهب إلى المقسم نودع أخى ثم نعود إلى الاسكندرية نبيت بها ليلة، وندخل فى اليوم الثانى قبرى، فسافر فأقام عند أخيه مدة يسيرة، ثم انحدر إلى الاسكندرية فأقام بها ليلة، ودخل فى اليوم الثانى قبره كما قال، رحمه الله.

وأخبرنى سيدى جمال الدين ولد الشيخ رضى الله عنهما: قال: ورد رسول الإفرنج إلى الإسكندرية فذهبت لأنظره، ولم أعلم الشيخ، فلما جئت قال: أين كنت؟ قلت: هٰهنا.

قال: بل ذهبت تنظر رسول الإفرنج، أتظن أن شيئا من أحوالك يخفى على؟ كان الرسول لابسا كذا وكذا، راكبا على كذا عن يمينه فلان، وعن يساره فلان فوصف الحال على ما كانت عليه؟

وأخبرنى عبد العزيز المدبولى قال: قال لى الشيخ: يا عبد العزيز سقيت الفرس؟ فقلت: نعم، فكرر ذلك مرارًا وأنا أقول نعم، ففى المرة الأخيرة قال يالله. وطار فى الهواء حتى غاب عن بصرى، فلما كان فى اليوم الثانى؛ قال: يا عبد العزيز ما الذى يحوج الإنسان منكم أن يقول غير الحق، كنت تقول ما سقيتها، وماذا كنت أصنع بك إذا لم تسقها؟

وكنت أنا سمعت الطلبة يقولون: من يصحب المشايخ لا يجىء منه فى العلم الظاهر شىء، فشق على أن يفوتنى العلم، وشق على أن تفوتنى صحبة الشيخ رضى الله عنه.

فأتيت إلى الشيخ فوجدته يأكل لحما بِخَلٍّ فقلت فى نفسى: ليت الشيخ يطعمنى لقمة من يده فما استتممت الخاطر إلا وقد دفع فى فمى لقمة فى يده ثم قال:

نحن إذا صحبنا تاجرا ما نقول له اترك تجارتك وتعال، أو صاحب صنعة ما نقول له اترك صنعتك وتعال، أو طالب علم ما نقول له اترك طلبك وتعال، ولكن نقر كل أحد فيما أقامه الله فيه، وما قسم له على أيدينا فهو واصل إليه.

وقد صحب الصحابة رسول الله ﷺ فما قال لتاجر اترك تجارتك ولا لذى صنعه اترك صنعتك بل أقرهم على أسبابهم وأمرهم بتقوى الله فيها.

وسمعته يقول: سافرت إلى «قوص» ومعى خمس أنفس: الحاج سليمان، وأحمد بن الزين، وأبو الربيع، وأبو الحسن المرسى، وفلان، فقال لى إنسان: ما الذى تقصد بسفرك يا سيدى؟ فقلت له: أدفن هؤلاء بقوص وأجىء؛ فدفنت الخمسة بها، أما الحاج سليمان فما مات حتى شرب من حوض الكوثر، وأخبرنى بعض أصحابه قال: نزل عنده بعض الأعيان فقال فى نفسه: أشتهى من ينبهنى قبل الفجر بمنزلة ويأتى بإبريق ماء سخن ويأتينى بسراج ويرينى محل الطهارة قال: فما كان قبل الفجر إلّا وطارق يطرق الباب؛ فخرجت فإذا هو الشيخ فقال: الوقت قبل الفجر بمنزلة وهذا إبريق فيه ماء سخن وهذه شمعة تعال حتى أريك محل الطهارة.

وكنت قلت لبعض أصحاب الشيخ: أريد لو نظر إلى الشيخ بعناية وجعلنى فى خاطره؛ فقال ذلك للشيخ؛ فلما دخلت على الشيخ رضى الله عنه فقال: لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا فى خاطره، بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ فى خاطركم، فعلى مقدار ما يكون الشيخ عندكم تكونون عنده.

ثم قال: أى شيء تريد أن تكون، والله ليكونن لك شأن، والله ليكونن لك شأن عظيم، والله ليكونن لك كذا، والله ليكونن لك كذا، لم أثبت منه إلا قوله «ليكونن لك شأن عظيم»، فكان من فضل الله سبحانه ما لا ننكره.

وأخبرنى سيدى جمال الدين ولد الشيخ، قال: قلت للشيخ، هم يريدون يصدرون ابن عطاء الله فى الفقه. فقال الشيخ:

هم يصدرونه فى الفقه، وأنا أصدره فى التصوف.

ودخلت أنا عليه فقال لى: إذا عوفى الفقيه ناصر الدين يجلسك فى موضع جدك؛ ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية؛ وتتكلم إن شاء الله فى العلمين فكان ما أخبر به رضى الله عنه.

سمعته يقول: أريد أن أستنسخ كتاب التهذيب لولدى جمال الدين، فذهبت أنا فاستنسخته من غير أن أعلم الشيخ، وأتيته بالجزء الأول فقال: ما هذا؟ قلت: كتاب التهذيب استنسخته لكم، فأخذه فلما نهض ليقوم قال: اجعل بالك؛ الولى لا يتفضل عليه أحد تجد هذا إن شاء الله فى ميزانك، فلما أتيته بالجزء الثانى لقينى بعض أصحابه بعد نزولى من عنده؛ وقال: قال الشيخ عنك: والله لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به فى العلم الظاهر والباطن، فلما أتيته بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقينى بعض أصحابى وقال: طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء، فقال: هذا كتاب استنسخه لى ابن عطاء الله، فوالله ما أرضى له بجلسة جده، ولكن بزيادة التصوف.

وأخبرنى بعض أصحابه قال: قال الشيخ يومًا: إذا جاء ابن عطاء الله فقيه الإسكندرية، فأعلمونى به. فلما أتيت أعلمنا الشيخ بك. فقال: تقدّم فتقدمت بين يديه، ثم قال: جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ومعه ملك الجبال حين كذّبته قريش، فقال له جبريل عليه السلام:هذا ملك الجبال أمره الله أن يطيع أمرك فى قريش. فسلم عليه مَلَك الجبال وقال: يامحمد إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فعلت. فقال رسول الله ﷺ: لا، ولكن أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يوحّد الله ولا يشرك به شيئًا، فصبر عليهم رسول الله ﷺ رجاء من يخرج من أصلابهم[1]، كذلك صبرنا على جدّ هذا الفقيه لأجل هذا الفقيه.

وخرجت يومًا من عند الفقيه مكين الدين الأسمر رضى الله عنه وخرج معى أبو الحسن الجزيرى - وكان من أصحاب الشيخ أبى الحسن - فسلمت عليه فسلّم علىّ ببشاشة وإقبال، فقلت له: من أين تعرفنى؟ فقال: وكيف لا أعرفك! كنتُ يومًا جالسًا عند الشيخ أبى العباس

---

(١) عندما لقى رسول الله ﷺ من أهل الطائف الكثير من الأذى ودعا دعاءه المشهور: «اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوّتى وقلّة حيلتى وهوانى على الناس. عند ذلك نزل عليه جبريل ومعه مَلك الجبال وكما روى البخارى بسنده عن عائشة قالت للنبى ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدّ عليك من أحد؟ فقال:

لقد لقيت من قومك، وكان أشدّ ما لقيت منهم بعد يوم العقبة إذ عرضت نفسى على عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت على وجهى وأنا مهموم فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، ومارَدّوا عليك وقد بعثت إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال فسلّم على فقال: يا محمد ذلك لك: إن شئت أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبى ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا» وانظر الروض الأنف ٤/٥٦ - ٥٧.

وكنتَ أنت عنده فلما نزلت قلتُ له: يا سيدى إنه ليعجبنى هذا الشاب انقطع فلان وفلان عن الملازمة، وهذا الشاب ملازم قال: فقال الشيخ: يا أبا الحسن لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعيًا يدعو إلى الله. فكان كما قال الشيخ ولله الحمد.

وأخبرنى أبو الحسن هذا قال: كنت ليلةً عند الشيخ أبى الحسن، وكان يقرأ عليه كتاب «ختم الأولياء» للترمذى الحكيم، فرأيت واحدًا جالسًا لم يطلع معنا. ولم يكن عند الشيخ وقت طلوعنا، فقلت لإنسان إلى جانبى: من هذا الرجل الجالس إلى جانب فلان؟

فقال: ما ههنا أحد غير الجماعة الذين تعرفهم، فسكتُّ وعلِمْتُ أنه لم يرَه فلما انصرف الجمع سألت الشيخ أبا الحسن رضى الله عنه فقلت: يا سيدى رأيت هنا رجلا لم يطلع معنا ولم يكن عندك قبل طلوعنا، فقال الشيخ: ذاك أبو العباس المرسى يأتى كل ليلة من المقسم حتى يسمع الميعاد ثم يعود من ليلته إلى مكانه والشيخ أبو الحسن إذ ذاك بالإسكندرية.

وكنت كثيرًا ما يطرأ علىّ الوسواس فى الطهارة فبلغ ذلك الشيخ أبا الحسن فقال: بلغنى أن بك وسواسًا فى الوضوء.

قلت: نعم.

فقال رضى الله عنه: هذه الطائفة تلعب بالشيطان، لا الشيطان يلعب بها، ثم مكثت أيامًا ودخلت عليه فقال: ما حال هذا الوسواس؟ فقلت: على حاله.

فقال: إن كنت لا تترك هذه الوسوسة لا تعد تأتينا، فشقّ ذلك علىّ وقطع الله الوسواس عنى.

وكان رضى الله عنه يلقّن للوسواس: «سبحان الملك الخلاق، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز».

وعملت فيه قصيدة أمدحه بها سيأتى ذكرها إن شاء الله آخر الكتاب فقال - حين أنشدتُ -: أيدك الله بروح القدس. ثم عملت قصيدة أخرى بإشارته - جوابًا لقصيدة مدحه بها إنسان من بلاد أخميم وسيأتى ذكرها أيضًا آخر الكتاب إن شاء الله تعالى - فلما قرئت عليه قال: هذا الفقيه صحبنى وبه مرضان، وقد عافاه الله منهما، ولابدّ أن يجلس، ويتحدّث فى العِلمين.

يشير الشيخ إلى مرض الوسوسة فقد انقطع عنى ببركة الشيخ حتى صرت أخاف أن أكون لشدّة التوسعة التى أجدها قد تساهلت فى بعض الأمور.

والمرض الآخر: كان بى ألم برأسى فشكوت ذلك إليه فدعا لى، فعافانى الله وشفانى.

وبتُّ ليلةً من الليالى مهمومًا، فرأيت الشيخ فى المنام فشكوت إليه ما أنا فيه، فقال: اسكت والله لأعلمنك علمًا عظيمًا، فلما استيقظت أتيت إلى الشيخ رضى الله عنه، فقصصت عليه الرؤيا فقال: هكذا تكون إن شاء الله.

وقدم يومًا من السفر فخرجنا للقائه فلما سلّمت عليه قال: يا أحمد كان الله لك، ولطف بك، وسلك بك سبيل أوليائه، وَبَّهاك بين خلقه. فلقد وجدتُ بركة هذا الدعاء، وعلمت أنه لا يمكننى الانقطاع عن الخلق، وأنى مراد بهم، لقوله: «وبهّاك بين خلقه».

وكنت أنا لأمره من المنكرين، وعليه من المعترضين، لا لشيء سمعته منه، ولا لشيء صحّ نقله عنه، حتى جرت بيني وبين بعض أصحابه مقاولة، وذلك قبل صحبتي إياه، وقلت لذلك الرجل: ليس إلّا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدّعون أمورًا عظامًا وظاهر الشرع يأباها. فقال ذلك الرجل: بعد أن صحبت الشيخ، تدرى ما قال لى الشيخ يوم تخاصمنا؟ قلت: لا.

قال: دخلت عليه فأوّل ما قال لى: هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك، فعلمت أن الشيخ كوشف بأمرنا، ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عامًا فما سمعت منه شيئًا ينكره ظاهر العلم، من الذى كان ينقله عنه مَن يقصده بالأذى.

وكان سبب اجتماعى به أن قلت فى نفسى بعد أن جرت المخاصمة بينى وبين ذلك الرجل: دعنى أذهبُ أرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارات لا يخفى شأنه. فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشارع بها فقال:

الأول: إسلام.

والثانى: إيمان.

والثالث: إحسان.

وإن شئت قلت: الأوّل عبادة.

والثانى: عبودية.

والثالث: عبودة.

وإن شئت قلت: الأوّل شريعة.

والثانى: حقيقة.

والثالث: تحقق، أو نحو هذا.

فمازال يقول: «وإن شئت قلت» «وإن شئت قلت» إلى أن بهر عقلى وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهى، ومدد ربّانى، فأذهب الله ما كان عندى، ثم أتيت تلك الليلة، إلى المنزل فلم أجد فىّ شيئًا يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى، ووجدت معنى غريبًا لا أدرى ما هو، فانفردت فى مكان أنظر إلى السماء، وإلى كواكبها، وما خلق الله فيها من عجائب قدرته، فحملنى ذلك على العودة إليه مرةً أخرى، فأتيت إليه فاستؤذن علىّ فلما دخلت عليه، قام قائمًا وتلقّانى ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلًا واستصغرت نفسى أن أكون أهلًا لذلك، فكان أوّل ما قلت له: ياسيدى أنا والله أحبّك.

فقال: أحبّك الله كما أحببتنى، ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان فقال رضى الله عنه: أحوال العبد أربعة لا خامس لها:

النعمة والبليّة، والطاعة، والمعصية.

فإن كنتَ بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر.

وإن كنت بالبليّة فمقتضى الحق منك الصبر.

وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منّته عليك.

وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار.

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبًا نزعته ثم سألنى بعد ذلك بمدّة كيف حالك؟

فقلت: أفتّش على الهم فلا أجده، فقال رضى الله عنه:

ليلى بوجهك مقمر وظلامه فى الناس سار
والناس فى سدف الظلا م ونحن فى ضوء النهار

الزم. فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيًا فى المذهبين، يريد

مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر

ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن.

obeikandl.com